كتاب العلم

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1] [طه: ١١٤].

وقَالَ تَعَالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟ [الزمر: ٩].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

١٣٧٤ ـ وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّه بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ»[2] مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

١٣٧٥ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ[3]: رَجُلٌ آتاهُ اللَّه مالاً فَسَلَّطَهُ عَلى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتاهُ اللَّه الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

والمرادُ بالحَسَدِ الْغِبْطَةُ، وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى مِثْلَهُ.

١٣٧٦ ـ وَعَنْ أَبي مُوسَى رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّه بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ[4]، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ

---

(١) ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ هذا من أعظم أدلة شرف العلم وعِظَمه، إذ لم يُؤمر ﷺ أن يسأل ربه الزيادة إلَّا منه وفي الحديث الشريف «ما عُبد اللَّهُ بشيء أفضلَ من فقهٍ في دين..».

(٢) «يفقهه في الدين» أي يجعله فقيهاً في دينه، عالماً بالأحكام الشرعية، وهذا دليلُ سعادة الإنسان، لا بجمع المال وتكديس الثروة.

(٣) «لا حسد إلا في اثنتين» المراد بالحسد المحرَّض عليه في الحديث: الغبطةُ، وهو أن يتمنى أن يرزقه اللَّه من العلم أو المال، كما رزق غيرَه، فمِثْلُ هذا ليس بمذموم، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

(٤) «مَثَلُ ما بعثني اللَّه به من الهدي والعلم» في هذا المثل الرائع قَسَّمَ ﷺ الناسَ إلى طوائف ثلاثة:
١ ـ منهم من أنار اللَّه بصيرته، بنور الهَدْي النبوي، فتفقَّه وتعلَّم، فكان كالأرض الطيبة ينزل عليها الماء، فتخرج الزرع والثمر.

طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فَأَنْبَتتِ الْكَلأَ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ مَاءً، ولا تُنْبِتُ كَلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللَّه، وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْساً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّه الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٧٧ ـ وَعَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: «فواللَّه لأَنْ يَهْدِيَ اللَّه بِكَ رَجُلاً وَاحِداً، خَيْرٌ لكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ»[١] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٧٨ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ[٢]، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣٧٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «وَمَنْ سَلَكَ

---

٢ ـ ومنهم من هو كالأرض الصخراوية الصلبة، لا تنبت زرعاً، ولا تُخرج ثمراً، ولكنها تمسك الماء الهاطل من السماء، فينتفع به الناس.

٣ ـ وقسم ثالث شبّهه ﷺ بالأرض السبخة الرملية، لا تمسك الماء، ولا تنبت الزرع، بل هي مكان لتكاثر البعوض والحشرات الضارة، وهذا مثل المعرض عن الهداية الإلهية، والعلم النبوي، وما أبدع هذا التمثيل، وأجمل هذا البيان!!

(١) «لأن يهدي اللَّهُ بك رجلاً» قاله ﷺ لعلي رضي اللَّه عنه لمّا أعطاه الراية يوم خيبر، وأرسله لقتالهم، وأمره أن يدعوهم أولاً إلى الإسلام، وأوصاه بهذه الوصية الكريمة، أن اللَّه إذا هدى به رجلاً واحداً، خير له من الإبل الحُمْر، التي هي أشرف أموال العرب، ومراده أن ذلك خير من الدنيا وما فيها.

(٢) «وحدِّثوا عن بني إسرائيل» أي لا إثم عليكم في التحدث عن أخبار بني إسرائيل، وما جرى عليهم من الأحداث والوقائع، فإن في أخبارهم عبراً وعظات، والمعنى: حدثوا عنهم بما لا تعلمون كذبه، وإنما قال ﷺ «ولا حرج» أي لا إثم ولا مؤاخذة في الحديث عنهم، لأنه ﷺ كان قد نهى الصحابة عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، لما فيها من أباطيل وضلالات، ثم بعد أن تمكّن الدين في قلوبهم أذن لهم ﷺ في ذلك.

(٣) «فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَهُ من النَّار» الكذبُ على رسول اللَّه ﷺ من الكبائر، لأن فيه تطاولاً على أحكام الشريعة، وإضلالاً للناس، أي من تعمّد الكذب عليّ، فليحجز له مكاناً في نار جهنم ليستقرّ فيها.

طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً[١]، سَهَّلَ اللَّه لَهُ بِهِ طَرِيقاً إلى الجنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٨٠ ـ وَعَنْهُ أيضاً رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إلى هُدًى[٢]، كانَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تبعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٨١ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثَلاثٍ[٣]: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٨٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ ما فِيهَا[٤]، إلَّا ذِكْرَ اللَّه تَعَالى، وَمَا والاهُ، وَعَالِماً، أَوْ مُتَعَلِّماً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حسنٌ.

قولهُ: «وَمَا وَالاهُ» أي: طاعَةُ اللَّه.

١٣٨٣ ـ وَعَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلمِ، كَانَ في سَبِيلِ اللَّه حتى يَرجِعَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٣٨٤ ـ وَعَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ[٥] حتى يكونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

---

(١) «سلك طريقاً يلتمس فيه علماً» أي من رغب في طلب العلم، وسار في طريقه، سهَّل اللَّه له بسبب العلم طريقاً إلى الجنة.

(٢) «من دعا إلى هدى» الدعوة إلى الهدى والخير عملُ الأنبياء والمرسلين، ولهذا كان الأجر عظيماً للداعي، وللمستجيب لدعوته، بحيث ينال كل منهما الأجر كاملاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

(٣) «انقطع عمله إلا من ثلاث» أي انقطع ثواب ما كان يفعله من الخيرات والصالحات، إلا من ثلاث خصال: الصدقة المستمرة الدائمة كالوقف، وكبناء المسجد، والسبيل، والعلم النافع، والولد الصالح الذي يدعو لأبيه.

(٤) «الدنيا ملعونة» أي بعيدة عن اللَّه، مبغوضة عنده، لأنها تصرف الإنسان عن التزود للآخرة، وتجعله لاهياً في شهوات الدنيا ومسرَّاتها، وينبغي أن نعلم أن كل ما ورد من ذمّ الدنيا، والتحقير من شأنها، إنما هو فيمن شغلته هذه الحياةُ الفانية، عن طاعة اللَّه ومرضاته، وجعلته ينسى الآخرة، التي هي دار السعادة والراحة، ولهذا استثنى رسول اللَّه ﷺ من الدنيا ما يُقرِّب منها إلى اللَّه، كالطاعة، والعبادة، والعلم، والتعلم، وما شابه ذلك.

(٥) «لن يشبع مؤمن من خير» أي لا ينتهي عن الخير حتى يموت فيدخل الجنة، بما اكتسب في حياته من العمل الصالح.

١٣٨٥ ـ وَعَنْ أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلى الْعَابِدِ[١] كَفَضْلي عَلى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّه وَملائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمواتِ وَالارض، حَتّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا، وَحَتّى الْحوتَ لَيصَلُّونَ عَلى مُعَلِّمِي النَّاس الخَيْرَ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَديثٌ حَسَنٌ.

١٣٨٦ ـ وَعَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللَّه لَهُ طَرِيقاً إِلى الجنَّةِ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السَّمَاوَاتِ وَمَنْ في الأَرْضِ، حَتَّى الحِيتَانُ في المَاءِ، وَفَضْلُ الْعالِمِ عَلى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبياءِ[٣]، وَإِنَّ الأَنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلا دِرْهَماً، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[٤] رَوَاهُ أَبو داودَ والتِّرمِذِيُّ.

---

(١) «فضل العالم على العابد» أي فضلُ الرجل العالم، على الرجل العابد، كفضل الرسول ﷺ على أقلّ رجلٍ من المؤمنين، وفي هذا الحديث رفعٌ لشأن العلماء، وإعلاءٌ لقدرهم عند اللَّه عزّ وجلّ، حيث يُحيي اللَّهُ بهم القلوبَ، كما تحيا الأرض بوابل المطر، ولا يُراد بالحديث كل عالم، إنما الذي يستحقُّ هذا التفضيل (العالم الرباني) الذي تعلَّم العلم النافع، وقام بحقّ هذا العلم، من العمل الصالح، ونشر العلم، وهداية الناس إلى طريق الخير والسعادة، وما أحسن ما قاله الشاعر:

ما الفضلُ إلّا لأهلِ العلمِ إنهمُ ... على الهُدى لمن استهدى أدلّاءُ
وقدرُ كلِّ امرئٍ ما كان يحسنه ... والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ
ففُزْ بعلمٍ تعشْ حيّاً به أبداً ... الناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

(٢) «ليصلُّون على معلمي الناسِ الخيرَ» أي ليدعون لمن علَّم الناس، وهداهم وأرشدهم إلى فعل الخير، وطاعة اللَّه، فالعالم تضعُ الملائكةُ أجنحتها له أي تتواضع له، وتدعو له حيوانات البر، وحيتان البحر، لعموم نفعه الشامل لجميع ما في العالم.

(٣) «العلماء ورثةُ الأنبياء» إنما كان العلماء ورثةَ الأنبياء، لأنهم ورثوا عنهم العلم، والدعوة إلى اللَّهِ، بالحكمة والموعظة الحسنة، وورثوا عنهم الصبر، وتحمل المكاره والأذى، والجهر بالحقّ، وهداية الإنسانية.

(٤) «أخذ بِحَظٍّ وافر» أي من سعى لطلب العلم، فقد نال أسمى الحظّ، وأنبل المطالب، وحصل على السعادة المبتغاة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾!

١٣٨٧ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰه ﷺ يَقُولُ: «نَضَّر اللّٰه امْرَءاً[١]، سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَما سَمِعَهُ[٢]، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[٣] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

١٣٨٨ ـ وَعَنْ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللّٰه عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلمٍ فَكَتَمَهُ، أُلجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[٤] رَوَاهُ أَبو داودَ والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٣٨٩ ـ وعنهُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللّٰه ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ[٥]، لا يَتَعَلَّمُهُ إلا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا[٦] لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٧] يَعْني: ريحَها. رَوَاهُ أَبو داودَ بإسنادٍ صَحيحٍ.

---

(١) «نضّر اللّٰه امرءاً» أي جعل اللّٰهُ وجهه مشرقاً منيراً.

(٢) «سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه» أي سمع حديثي وكلامي، فرواه لغيره كما قلتُه وكما سمعه مني.

(٣) «فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع» أي لعلَّ الذي بَلّغه حديثي يكون أكثر فهماً ووعياً من الذي سمعه مني، وفيه إشارة إلى أن الفقيه الذي يستنبط الأحكام، أعرف بمقاصد الحديث من المحدّث الذي يروي الرواية، ولهذا قال بعض المحدّثين للإمام أبي حنيفة: يا معشرَ الفقهاء أنتم الأطباء، ونحن الصيادلة وفي حديث آخر: «ربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

(٤) «ألجم بلجام من نار» أي من كتم علماً من علوم الشريعة والدين، ولم يبيّنه للسائل، مع ضرورة الحاجة إليه، وضع اللّٰه على فمه يوم القيامة لجاماً من نار، كما يوضع اللجام على فم الدابة، إهانة له وإذلالاً، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

(٥) «علماً مما يُبتغى به وجهُ اللّٰه» في هذا القيد احترازٌ عن العلوم الكونية المباحة التي لا ضرورة للإنسان لها، والعلوم المحرّمة كعلم السحر والشعوذة.

(٦) «ليصيب به عَرَضاً من الدنيا» أي يتعلم العلوم الشرعية، لينال بذلك حُطام الدنيا، ومتاعها الفاني، ليس له غاية سواها.

(٧) «لم يجد عَرْفَ الجنة» أي لا يَشمُّ رائحة الجنة فضلاً عن دخولها، وفي هذا إشارة إلى أنّ من أخلص في طلب العلم، طلباً لمرضاة اللّٰه تعالى، ثم جاءته الدنيا من غير قصدٍ لها، لا يضرُّه ذلك، كما قال القائل:

ما أحسنَ الدِّينَ والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ في الرجل

١٣٩٠ ـ وَعَنْ عبدِ اللَّه بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إنَّ اللَّه لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً[١] يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ[٢] حَتَّى إذا لَمْ يُبْقِ عالماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رؤوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوا بِغَيْرِ علْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[٣] مُتَّفَقٌ عليهِ.

❁❁❁

(١) «لا يقبض العلم انتزاعاً» أي لم تَجْرِ سُنَّةُ اللَّه بانتزاع العلم من صدور العلماء، كأن ينامَ الإنسان، ثم يستيقظ، وقد مُحِيَ العلمُ من صدره، فهذا لا يفعله اللَّه.

(٢) «ولكنْ يقبضُ العلمَ» أي ولكنَّ اللَّه ينزع العلمَ، بموت العلماء، الذين هم ورثةُ الأنبياء، حتى لا يبقى من يُوثق بعلمه.

(٣) «أفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا» ضلُّوا لافترائهم على اللَّه الكذب، وأضلُّوا من استفتاهم. وهذا يكون في آخر الزمان، حيث ينتشر الجهل بموت العلماء، الذين هم مصابيح الهدى، ويتربّع على عرش الفُتيا من ليس لها بأهل، وقد ظهرت في هذا العصر بوادرُه، فقد أباحَ أناسٌ ممن ينتسبون إلى العلم، فوائدَ البنوك، وهي الربا المحرَّم الذي أعلن اللَّه الحرب على مرتكبيه، ليصدق فيهم قول الرسول ﷺ «فضلُّوا وأضلُّوا».

obeikandl.com

كتاب حمد الله تعالى وشكره

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقَالَ تَعَالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

١٣٩١ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ النبيَّ ﷺ أُتِي لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ، مِنْ خَمْرٍ، وَلَبَنٍ[1]، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، فَأَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ جبريلُ ﷺ: الحَمْدُ للَّه الَّذي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٩٢ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ قالَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لا يُبْدَأُ فيهِ بـ: الحَمْدُ للَّه فَهُوَ أَقْطَعُ» حديثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبو داود وغيرُهُ. ومعنى «أقطع» أي ناقص الخير والبركة.

١٣٩٣ ـ وعَنْ أبي مُوسى الأَشعَرِيِّ رضيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه قالَ: «إِذَا ماتَ وَلَدُ العَبْدِ، قالَ اللَّه تَعَالى لملائكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ[2]؟ فينولون: نَعَمْ، فيقولُ: مَاذَا قالَ عَبْدِي؟

---

(١) «أتي بقدحَين من خمر ولبن» أي قُدِّم له ﷺ ليلة الإسراء والمعراج قدحين: أحدهما فيه خمر، والآخر فيه لَبَنٌ، فاختار اللبن ـ الحليب ـ لأنه غذاء كامل، وهو سهل طيّب طاهر، سائغ للشاربين، سليم العاقبة، والخمرُ أمُّ الخبائث، جالبة للشرّ، مذهبةٌ للعقل، وفيه إشارة إلى أن الإسلام دينُ الفطرة، ولهذا مالَ طبعُ النبيِّ ﷺ إليه، فقال له جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، ولو اخترت الخَمْرَ لغَوَتْ أمتُك، أي ضلّتْ طريق الهداية والنور.

(٢) «قبضتم ثمرة فؤاده» أي قبضتم ولده الذي هو قطعةٌ من قلبه، كنّى عن الولد بثمرة الفؤاد، كأنَّ القلب شجرةٌ تحمل الثّمر، فالولد هو الثمرة.

فيقولون: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَع[1] فَيَقُولُ اللَّه تَعَالى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»[2] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٣٩٤ ـ وعنْ أنَسٍ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّه لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ، يَأْكُلُ الأَكْلَةَ[3] فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

(١) «حَمِدَكَ واسْتَرْجَعَ» أي قال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وهذا مقام التسليم، والرضى بقضاء الله.

(٢) «سمُّوه بيت الحمد» أي ابنوا لعبدي المؤمن، قصراً في الجنة وسمُّوه بيت الحمد، لقاء صبره ويقينه، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ..﴾.

(٣) «يأكلُ الأكْلَةَ» المرة الواحدة من الطعام كالغداء أو العشاء، فنعمةُ الله على عباده كبيرة، حيث يكتفي منهم بالاعتراف بنعمة الله عليهم، وحمده وشكره على إنعامه.

obeikandl.com

كتاب الصلاة
على رسول الله ﷺ

قالَ اللَّه تَعَالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ[1] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

١٣٩٥ ـ وعنْ عَبْدِ اللَّه بنِ عَمرو بنِ العاصِ رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٩٦ ـ وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «أَوْلى النَّاسِ بي يَوْمَ الْقِيَامَةِ[3] أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الصلاةُ من الله بمعنى الثناء والتمجيد، ومن الملائكة بمعنى الاستغفار، ومعنى الآية: إن الله جلَّ وعلا يثني على رسوله، ويمجِّده ويمدحه في الملأ الأعلى، والملائكة يدعون له برفعة القدر، وعلوّ الشأن، ويطلبون له من الله المغفرة، فصلُّوا أنتم يا معشر المؤمنين عليه وسلِّموا تسليماً، وقولوا: اللهمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وأمرنا بالصلاة عليه لا لرفع مكانته ﷺ، وإنما لرفع درجاتنا نحن المؤمنين، حيث يصلِّي الله علينا بصلاة واحدة، عشر صلوات كما في الحديث التالي.

(٢) «صلَّى الله عليه بها عشراً» أي من صلَّى عليَّ صلاة واحدة، صلَّى الله عليه بها عشراً، وهذا الفضل يدلُّ عليه قولُه سبحانه «من جاء بالحسنةِ فله عشر أمثالها» لأن في الحديث أن الله تعالى يصلِّي عليه، أي يذكره في الملأ الأعلى، وذكر الله لا شكَّ أكبر، فأيُّ كرامةٍ أعظم من هذا؟ ففي صلاتنا عليه رفع لدرجاتنا، وكيف نصلِّي عليه؟ لا نقول: صلَّينا عليك يا محمد وإنما نقول: «اللهمَّ صلِّ على محمد» فكأننا نقرُّ بعجزنا عن وفاء رسول الله ﷺ حقَّه من الثناء والتبجيل، ونفوِّض الأمر إلى الله، لينوب عنَّا في الصلاة عليه، وهي لفتةٌ بديعة.

(٣) «أولى الناس بي» أي أقربُ الناس مني، وأحقهم بشفاعتي، أكثرهم عليَّ صلاةً، فالمصلُّون على رسول الله ﷺ أسعدُ الأمة بنيل شفاعته، ومرافقته في جنان الخُلد والنعيم، والمرءُ يُحشر مع من أحبَّ، كما قاله الصادقُ المصدوق ﷺ.

١٣٩٧ ـ وعن أوس بن أوس رضيَ اللّه عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللّه ﷺ: «إنَّ مِنْ أفْضَلِ أيّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ[١]، فَأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فإنَّ صلاتَكُمْ مَعْروضَةٌ عَلَيَّ[٢]، قالوا يا رَسُولَ اللّه: وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنا عَلَيْكَ وَقَدْ أرَمْتَ[٣]؟ (قالَ: يقولُ: بَلِيتَ) قالَ: إنَّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلى الأرْضِ أجْسادَ الأنْبِياءِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صَحيحٍ.

١٣٩٨ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّه عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللّه ﷺ: «رَغِمَ أنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٣٩٩ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللّه عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً[٤]، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُني حَيْثُ كُنْتُمْ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

---

(١) «من أفضل أيامكم يوم الجمعة» ورد النصُّ بلفظ «مِنْ» للتنبيه على أنه ليس أفضلَ الأيام على الإطلاق، بل هو يوم له فضلٌ عظيم، فهو أفضل أيام الأسبوع، وأمّا أفضل أيام السنة فهو «يوم عرفة» فإنه سيّد الأيام بلا خصام.

(٢) «إن صلاتَكُمْ معروضةٌ عليَّ» أي تعرضها ملائكة الرحمن عليَّ، وتبلّغني إيّاها ليزيد سروري بها، وهذا لمن صلّى عليه من بعيد، وأمّا من صلّى عليه عند قبره الشريف فيسمعه لقوله ﷺ «من صلّى عليَّ عند قبري، سمعتُه، ومن صلّى عليَّ نائياً ـ أي عن بُعْد ـ بُلِّغْتُه»، رواه البيهقي في سننه.

(٣) «كيف تُعرضُ صلاتُنا عليك وقد أرَمْتَ»؟ أي كيف تصل صلاتنا إليك، وقد بليتَ وصرت رميماً؟ فقال لهم ﷺ: إن اللّه حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وهذه من خصائص الأنبياء تكريماً لهم، فلو عرفنا قبر نبيٍّ وكشفنا عنه، لوجدناه بحالته الجسدية التي مات عليها.

(٤) «لا تجعلوا قبري عيداً» أي لا تجعلوا زيارة قبري مظهر عيد، تجتمعون عنده للزينة واللهو والطرب، وغير ذلك من المحرّمات التي تُعمل في الأعياد، بل تأدبوا في حقّ نبيّكم، بالصلاة والتسليم عليه عند زيارته، ولا تسلكوا مسلك أهل الكتاب، الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وضرب اللّه على قلوبهم حجاب الغفلة، فاتبعوا سنن أهل الأوثان في زيارة طواغيتهم، وفي الحديث «اشتدَّ غضبُ اللّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وذكر بعضُ العلماء أن للحديث معنى آخر فقال: «لا تجعلو قبري عيداً» أي لا تتخذوه كالعيد الذي لا يُؤتى إليه إلّا مرتين في السنة، فيكون فيه الحثُّ على الإكثار من زيارته عليه السلام، وبخاصة لمن كان يسكن المدينة المنورة، فإنه يُستحب له الزيارة كلما صلّى في المسجد النبوي الشريف.

١٤٠٠ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلَّا رَدَّ اللَّه عَلَيَّ رُوحِي[١] حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح.

١٤٠١ ـ وعن عَلِيٍّ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ.

١٤٠٢ ـ وعَنْ فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ رضيَ للَّه عَنْهُ، قالَ: «سَمِعَ رسولُ اللَّه ﷺ رَجُلاً يَدْعُو في صَلاتِهِ[٣] ولَمْ يُمَجِّدِ اللَّه تَعَالى، وَلَمْ يُصَلِّ على النبيِّ ﷺ، فقالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: عَجِلَ هذا، ثُمَّ دَعَاهُ فقالَ لهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عليهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلى النبيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعدُ بِمَا شَاءَ» رَوَاهُ أبو داودَ والتِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسن صحيحٌ.

١٤٠٣ ـ وعَنْ أَبي محمدٍ «كَعْبِ بنِ عُجرَةَ» رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: «خرجَ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ فقُلْنا: يا رسولَ اللَّه، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ[٤]، فَكَيْفَ

---

(١) «ردَّ اللَّهُ عليَّ روحي» أي يشعر ﷺ بمن سلَّم عليه، فيردُّ عليه السلام، وهذا أمر من أمور البرزخ نؤمن به بدون تشكُّك، وإذا عرفنا أن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون، كما ورد به القرآن الكريم، فإن الأنبياء أعلى درجةً من الشهداء، فهم أحياء في قبورهم حياةً برزخية، كما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «مررتُ ليلة أُسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره» رواه أحمد، وأحوالُ البرزخ من أحوال الآخرة.

(٢) «البخيلُ من لم يُصلِّ عليَّ» أي الكاملُ في البخل، المستغرق فيه، هو الذي إذا سمع اسم النبيِّ ﷺ لم يصلِّ عليه، فهو بامتناعه من الصلاة عليه، قد حرم نفسه من ثواب عظيم من ربٍّ كريم، وشحَّ وامتنع من أداء ما أوجب الله عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(٣) «يَدْعُو ولَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ» أي بعد أن انتهى الرجل من صلاته، شرع يدعو الله بقوله: اللهم اغفر لي وارحمني، دون أن يبدأ دعاءه بحمد الله، والصلاة على رسوله، وهي مفتاح قبول الدعاء، فعلَّمه الرسول ﷺ وأرشده إلى طريقة استمطار رحمة الله، وقوله «عَجِلَ هذا» أي استعجل بالدعاء، قبل الحمد والثناء.

(٤) «قد علِمْنا كيف نسلِّم عليك» أي علَّمتنا طريقة السلام عليك في التشهد حيث نقول «السلام عليك أيها النبي» ولكننا لا ندري كيف نسلِّم عليك؟ فقال لهم ﷺ قولوا: «اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد...» إلى آخر الصلاة الإبراهيمية، التي يقولها المسلم في آخر صلاته، وفيها التشريف والتكريم لمقام سيدنا رسول الله، وسيدنا إبراهيم الخليل، ـ

نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قال: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى آل مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٠٤ ـ وعَنْ أبي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضيَ اللَّه عنهُ، قالَ: «أَتانا رَسُولُ اللَّه ﷺ وَنَحْنُ في مَجْلِسِ سعدِ بنِ عُبَادَةَ، فقالَ لهُ بَشِيرُ بْنُ سعدٍ: أَمَرَنَا اللَّه تَعَالى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يا رسولَ اللَّه، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رسولُ اللَّه ﷺ، حتى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: قولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ، وعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ على آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما بَارَكْتَ عَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسلام كما قد عَلِمتم» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٠٥ ـ وَعَنْ أَبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضيَ اللَّه عنهُ، قالَ: «قَالُوا: يا رسولَ اللَّه كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيكَ؟ قالَ: قولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ عَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ على آل إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

= صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما فيها الاعتراف بالعجز عن وفاء النبي ﷺ حقه، فنحن نوكل الله بقولنا «اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد».